ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

"The Term "Removal": Its Dimensions and Meanings in Holy Qur'an

* Corresponding Author

Sheelan Abdulhamid Murad
Nawar Mohammed Ismail
College of Arts / University of Mosul

Email:
sheelan.23arp46@student.uomosul.edu.iq
nawar.m.e@uomosul.edu.iq

Keywords: Removal, Disappearance, Misstep, Causing someone to slip,Transformation,Denotation

Article history:
Received: 2025-06-26
Accepted: 2025-07-12
Availablonline: 2025-08-01

ABSTRACT

This study examines and analyzes the term "removal" and its morphological derivatives in the Qur'an, including words such as zāla ,(زال) māzāla ,(مازال) azāla ,(أزال) zalla ,(زل) yuzīlu ,(يزيل) istazalla ,(استزل) zayyala ,(زيل) and zalzala .(زلزل)These terms are treated as a central semantic unit in the Qur'anic depiction of concepts such as disappearance, motion, transition, transformation, and disturbance. The research begins with the lexical and semantic foundation of the root (Z-W-L) to trace the evolution of meanings from concrete, physical senses to more abstract, figurative ones. It then follows the Qur'anic contexts in which these words occur, analyzing their semantic dimensions and diverse contextual usages. The study clarifies the subtle distinctions among these terms—such as between removal and displacement, or disappearance and movement, and between zāla and azāla. Furthermore, it highlights the relationship between linguistic meaning and Qur'anic context, which often bestows existential depth and profound significance to these terms. The research employs linguistic, analytical, and exegetical methodologies, showing how these terms form a cohesive and interconnected semantic network that conveys notions of destabilization, transformation—whether gradual or sudden, physical or metaphorical. This contribute

.

© All articles published in *Wasit Journal for Human Sciences* are licensed under a Creative Commons Attributon 4.0 International License (CC BY 4.0). Authors retain full copyright.
DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss3.1148

لفظ الإزالة أبعاده ودلالاته في القرآن الكريم

الباحثة شيلان عبدالحميد مراد/ كليّة الآداب/ جامعة الموصل
أ.د نوار محمد اسماعيل/ كليّة الآداب/ جامعة الموصل

المُستخلص

يتناول هذا العملُ بالدراسةِ والتحليلِ لفظَ الإزالةِ واشتقاقاتِهِ الصرفيّة في القرآنِ الكريم، فمن هذه الألفاظِ: (زال، مازال، أزال، زلّ، يزيل، استزلّ، زيل، زلزل...). بعدّها وحدةً دلاليّة محوريّةً في التصويرِ القرآنيّ لمفاهيم الذهاب والحركة والتنقّل والتَحَوُّل والاضطراب، وينطلق البحث من الأساس المعجمي والدلالي للجذر (زول) للكشف عن تطوّر الدلالات من الأصل الحسيّ إلى المعاني المجازيّة، ومن ثم يتتبّع السياقات القرآنيّة التي وردت فيها تلك الألفاظ، محللاً أبعادها المعنويّة واستعمالاتها السياقيّة المتعدّدة. ويبيّن هذا العمل الفروق الدقيقة بين تلك الألفاظ، مثل الفرق بين (الإزالة والتنحية) و(الزوال والانتقال)، و(زال وأزال)، وكذلك يبرز العلاقة بين الدلالة اللغويّة والسياق القرآني الذي يعطيها بعداً وجوديًا ومعان عميقة. وقد اعتمد البحث على مناهج لغويّة وتحليليّة وتفسيريّة، وهكذا ترسم تلك الألفاظ شبكةً دلاليّةً متماسكةً ومترابطةً تعبّر عن زعزعة الثبات والتغيّر، والتَحَوُّل التدريجيّ أو المفاجئ، الماديّ أو المعنويّ، مما يضيف إلى بيان النص القرآنيّ ثباته البلاغيّ ودقته المفهوميّة.

الكلمات المفتاحية : الإزالة، الزوال، الزلة، الاستزلال، التَحَوُّل، الدلالة

المقدمة:

إن القرآن الكريم يُعدّ منبعاً غنيًّا للدلالات اللغويّة التي تتجلى فيها الأصول المعجميّة مع السياقات المتنوعة لتنتج مفاهيم عميقة ودقيقة. ومن بين تلك الدلالات، تظهر دلالة الإزالة بوصفها تمثيلاً لحركة الأشياء والمعاني، سواء كانت معنويّة أو حسيّة، قهريّة أو إراديّة.

ويعتمد هذا البحث على تحليل الجذور: كجذر(زال)، و(زلّ)، و(زيل)..، لما تحمله من معانٍ متقاربة من حيث الأصل، لكنها تتمايز في السياق والاستعمال. وإن هذه الألفاظ قد وردت في مواطن متعددة من القرآن الكريم، لتعبر عن الزوال، أو الهلاك، أو المحو، أو الفناء، والخطأ، والاضطراب.

قسّمنا هذا البحث على تمهيد يتناول الجذر (ز و ل) في المعاجم العربية متتبعين التطورات الدلالية لها، ومباحث خمسة، وهذه المباحث هي الدلالات التي جاء بها الجذر (ز و ل) في القرآن الكريم، وهي كالآتي:

المبحث الأول/ دلالة **التنحية والإبعاد**

المبحث الثاني/ دلالة **الاستمرار والثبات**

المبحث الثالث / دلالة **التَحَوُّل والتغير**

المبحث الرابع / دلالة **التفريق والتمييز**

المبحث الخامس/ دلالة **الحركة والاضطراب**

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون هناك تفاوتٌ في حجم صفحات المباحث نظرا لغزارة تلك دلالات في القرآن الكريم.

وأهميّة هذا البحث تكمن في سعيه إلى استكشاف هذه الألفاظ من منظورين رئيسيين:

المنظور المعجميّ، وهذا من خلال تتبع جذور الألفاظ في المعاجم وتحليل دلالاتها الأصليّة والمتفرعة وبيانها.

والمنظور السياقيّ القرآني، الذي يكشف مواضع تلك الألفاظ في القرآن الكريم وبيان أبعادها الإضافيّة، وتحليل سياقاتها التي وردت فيها.

وقد اتّبعنا في هذا البحث منهجاً تحليليًّا معجميًّا ولغويًّا وتفسيرياً، معتمدين إلى المصادر الأصيلة في التفسير واللغة، مع ربط الدلالة بالغاية النصيّة والسياق والمقام.

التمهيد

(ز و ل) ودلالاتها في المعاجم

((الزَّوْل: **الْحَرَكَة**، يُقَال: رأيتُ شَبَحاً، ثمَّ زَالَ، أَي: تحَرَّك)) (الأزهري، 2001م، صفحة 172/13)، (وينظر: (الجوهري إ.، 1407 هـ - 1987 م، صفحة 1719/4) (الصغاني) (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 385/5)وكل شيء تحرك هو الزائلة (ينظر: (الجوهري إ.، 1407 هـ - 1987 م، صفحة 1719/4) (ابن فارس أ.، 1406 هـ - 1986 م، صفحة 445) (ابن فارس أ.، 1399هـ - 1979م، صفحة 38/3) (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1392 هـ = 1972 م، صفحة 408/1). فالحركة والانتقال هي أصل المادّة. وقيل: الزّوالُ: **ذَهابُ** المُلْك. وزوالُ الشَّمس كذلك. زالتِ الشَّمسُ زوالاً، إذا زالت عن كبد السماء، وزالتِ الخَيْلُ برُكبانها زوالاً. (ينظر: (الفراهيدي، صفحة 384/7) (الأزهري، 2001م، صفحة 172/13) (الصاحب بن عباد، 1414 هـ - 1994 م، صفحة 88/9) (رضا، جـ 1 و 2/ 1377 هـ - 1958 م، صفحة 38/3). أي: انتهاء الملك، فدلّت على **الفناء والاضمحلال** ، وزوال الشمس هو تحرّكها بعد **ثبات واستقرار**، فتدلّ على **التَحَوُّل والتغيير**، وهذا التغيير قد يكون بفعل الزمن أو عوارض أُخَر (الوائلي، 2023، صفحة 17). فإن الزوال يقال لشيءٍ قد كان مستقراً وثابتاً قبلُ، والشمس لا ثبات لها؛ وإنما قالوا ذلك لاعتقادهم في الظهيرة أن لها ثباتا في وسط السماء. وقد تأتي بمعنى **الإبعاد والتنحية** ، قال ابن فارس (ت395): ((الزَّاءُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَنَحِّي الشَّيْءِ عَنْ مَكَانِهِ. يَقُولُونَ: زَالَ الشَّيْءُ زَوَالًا، وَزَالَتِ الشَّمْسُ عَنْ كَبِدِ السَّمَاءِ تَزُولُ. وَيُقَالُ أَزَلْتُهُ عَنِ الْمَكَانِ وَزَوَّلْتُهُ عَنْهُ)) (ابن فارس أ.، 1399هـ - 1979م، صفحة 38/3). ويقال: زَال القومُ عَن مكانِهم: إذا انصرفوا عَنهُ وتنَحَّوا، ينظر: (الأزهري، 2001م، صفحة 172/13) (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 313/11). وإذا نحّيت الشيء تقول: زِلت الشيء زيالا وأزلته (ابن القَطَّاع، 1403هـ -1983م، صفحة 104/2). وزَالَ الشَّيْءُ عَن مَكانِهِ يَزُولُ، زوالا وزُؤَولاً: إذا تنحّى وبَعُدَ (الزبيدي، 1997، صفحة 146/29). ويقال: ((أزاله عن وظيفته: نحّاه عنها وأبعده وعزَلَه)) (أحمد مختار، 1429 هـ - 2008 م، صفحة 1017/2). أي: تنحّي الشخص عن الوظيفة ومكان عمله وإنهاء صلته بها. والزلل هو عدم الثبات والانزلاق والاضطراب، ويقال غالباً للخطأ الناتج عن الغفلة، وهو مقابل للثبات والاستقامة فالزلل: هو الخطأ والذنب؛ لأن المخطئَ قد زلّ وانزلق عن نهج الصواب. يقال: زلّت قدمُهُ أي: زلقت. ويقال: ((زَلَّ عَنْ مَكَانِهِ زَلِيلًا وَزَلًّا)) (ابن فارس أ.، 1399هـ - 1979م، صفحة 4/3). فيدلّ على **الانزلاق والانحراف** من موضع ثابت. وقد تأتي الزلّة **بمعنى الذنب أو الخطأ**، قال أبو هلال: ((أَن الإزلال عَن الْموضع هُوَ الْإِزَالَة عَنهُ دفْعَةً وَاحِدَةً، من قَوْلك: زلّت قدمه وَمِنْه قيل للذنب الَّذِي يَقع من الْإِنْسَان على غير اعتماد: زلَّة، والصفاءُ الزلَالُ، بِمَعْنى المُزَلّ)) (أبو هلال العسكري، صفحة 312). أي: الإزالة الفوريّة ودفعة واحدة؛ لأن زلّت القدمُ هو السقوطُ بشكلٍ مفاجئٍ وبسرعةٍ دون تمهيد، وكما أن

الذنب تأتي فجأة، أما المزلّ فهو الشيء الذي يسبّب الزلّة مثل الأرض الزلقة. فالزلل والخطأ متقاربان دلاليًا كلاهما يدلان على الوقوع في الإثم من غير قصدٍ، ولهما فرقاً دلاليًا واحداً وهو أن الزلل يكون بفعل فاعل خارجيّ لكن الخطأ قد يكون من قبل النفس وليس بفعل خارجيّ (ينظر: (داود، صفحة 247).

والمُزِلَّةُ: ((المكانُ **الدَّحضُ**. والمَزَلَّةُ: الزَّلَلُ في الدَّحْض)) (الفراهيدي، صفحة 349/7) (وينظر: (الأزهري، 2001م، صفحة 114/13) (الجوهري إ.، 1407 هـ – 1987 م، صفحة 171/4). المكان الذي يحدث فيه الإزالة والإزاحة. والزَّلزلة مَأْخُوذَة ((من الزَّلل فِي الرَّأْي؛ فَإِذا قيل: زُلزل الْقَوْم، فَمَعْنَاه: **صُرِفوا عَن الاسْتقَامَة**، وأوقع فِي قُلُوبهم **الْخَوْف والحذَر**)) (الأزهري، 2001م، صفحة 116/13) (وينظر: (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 308/1). فالناس من شدّة الاضطراب والخوف صُرِفوا عَن الاسْتقَامَة والثبات.

والزَّلْزَلة: **تحريكُ الشَّيء** والزَّلازل: **البلايا والشدائد**(ينظر: (الفراهيدي، صفحة 350/7) (الجوهري إ.، 1407 هـ – 1987 م، صفحة 1717/4) (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 307/11). وَتَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ: **اضْطَرَبَتْ (ينظر**: (ابن فارس أ.، 1399هـ – 1979م، صفحة 4/3) (أحمد مختار، 1429 هـ – 2008 م، صفحة 990/2) . وقيل: إن الأصل في الزلزلة: هي: ((**الْحَرَكَةُ الْعَظِيمَةُ والإزعاج الشَّدِيدُ**؛ وَمِنْهُ زَلْزَلَة الأَرض، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ)) (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 308/11) (وينظر: (الزبيدي، 1997، صفحة 132/29) (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1392 هـ = 1972 م، صفحة 398/1).

وتأتي زيل بمعنى **المفارقة والانفصال**: فتقول: ((زَيَّلْتُ بَينَهم، أي: فرّقت، والمزايلة: المفارقة)) (الفراهيدي، صفحة 385/7)(وينظر: (الجوهري إ.، 1407 هـ – 1987 م، صفحة 1720/4) (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 316/11). ويُقالُ: زَالَهُ، وانْزَالَ عَنهُ، إذا فَارَقَهُ (ينظر: (ابن منظور، 1414 هـ) (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 317/11) (الفيروزآباديّ، 1426 هـ – 2005 م، صفحة 1011) (الزبيدي، 1997، صفحة 149/29) . فالمفارقة هنا دلالة متطورة؛ لأنها استخدمت للعلاقات الاجتماعية.

وتطوّرتْ دلالةُ المادّة فدلّت على **الارتفاع والعلو**، قال ابن سيده: زَالَ النَّهارُ: أي: ارتْفَعَ (ابن سيده، 1421 هـ – 2000 م، صفحة 105/9). ((وَالْأَصْل فِي الِارْتِفَاع زَوَال الشَّيْء عَن مَوْضِعه الى فَوق وَلِهَذَا يُقَال ارْتَفع الشَّيْء معنى زَوَال وَذهب والعلو لَا يَقْتَضِي الزَّوَال عَن أَسْفَل وَلِهَذَا يُقَال ارْتَفع الشيء وَإِن ارْتَفع قَلِيلا لِأَنَّهُ زَالَ عَن مَوْضِعه إِلَى فَوق وَلَا يُقَال علا إِذا ارْتَفع)) (أبو هلال العسكري، صفحة 184). وربما أخذت المادّة هذه الدلالة من زوال الشمس. والارتفاع هو تَحَوُّل الشيء من موضع إلى أعلى.

والمراد من ما زَالَ وَلَا يَزَالُ ((مُلازَمَةُ الشَّيْءِ، والحالُ الدَّائِمَةُ)) (الزبيدي، 1997، صفحة 155/29). فيدُلّ على الاستمرار وثبات الشيء، فزال يقتضي معنى النفي وهو ضد الثبات وما ولا يستعملان للنفي والنَّفْيانِ إذا اجْتَمَعَا اقْتَضَيَا الإِثْبَاتَ، فصارَ قَوْلُهم: مَا زَالَ يَجْرِي مَجْرَى كانَ، فِي كَوْنِهِ إِثْباتاً (الزبيدي، 1997، صفحة 156/29). ويقال: ما زال فلانٌ يَفعَلُ كذا، **يريد دوام** ذلك(ينظر: (الفراهيدي، صفحة 385/7) (الأزهري، 2001م) (الجوهري إ.، 1407 هـ – 1987 م، صفحة 1720/4).

وتطورت أكثر فدلّت على **الهلاك** كما قال ابن سيده: ((أَزالَ اللهُ زَوالَه، وزَالَ اللهُ زَوالَه، يَدْعُو لَه بالهلاكِ)) (ابن سيده، 1421 هـ – 2000 م، صفحة 104/9). ويُقَال: أَزَال الله زوالَه، وزَالَ زَوالَه بمعنىً: إذا دعى عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ، أي: أَذْهَبَ اللهُ حَرَكَتَهُ (ينظر: (الفراهيدي، صفحة 384/7).

ويقال مجازاً: ((أزال الغمَّ عنه: **كشفه وفرجه**– أزال ما كتبه: **محاه**)) (أحمد مختار، 1429 هـ – 2008 م، صفحة 1011/2). أي: إزالة الشيء بشكل كامل.

والدلالات المتطوّرة غالباً تأتي من الاستخدام المجازيّ أو من اتساع المعنى لكثرة الاستخدام، فإزالة الغمّ هنا ليست أصليّة؛ لأن الأصل في الإزالة هو إبعاد شيء ماديّ وتنحيه، والغمّ هنا معنويّة.

والزَوَّالُ: هو الذي يتحرك في مِشيته كثيراً ولم يبرح، وَمِنْه قيل: ليلٌ زائل النُّجُوم، أَي: تلوح نجومُه وَلَا تغيب (ينظر: (الأزهري، 2001م، صفحة 173/13) (الصاحب بن عباد، 1414 هـ – 1994 م، صفحة 89/9) (الفيروزآباديّ، 1426 هـ – 2005 م، صفحة 130/1) (الصغاني ، صفحة 385/5) (ابن المبرد، 1411 هـ – 1991 م، صفحة 93/2). وقيل: الزَّوالُ: ((الذَّهابُ، والاستِحالةُ والاضمحلال)) (ابن سيده، 1421 هـ – 2000 م، صفحة 104/9) (وينظر: (الفيروزآباديّ، 1426 هـ – 2005 م، صفحة 1011) (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 313/11) (الزبيدي، 1997، صفحة 145/29). فالذهاب هو الانتهاء والفناء، والاستحالة هي التَحَوُّل من وضع إلى آخر، فهو تغير الطبيعة الأصليّة للشيء والاختفاء شيئاً فشيئاً حتى الفناء. وجاء في الكلّيات: الْإِزَالَة: ((الإذهاب، وأزال، وأزلّ: يتقاربان فِي الْمَعْنى، غير أَن أزل يُقْتَضِي عَثْرَة مَعَ الزَّوَال، يُقَال: (أزللته فزل) و (أزلته فَزَالَ))) (الكفوي، 1414 هـ – 1994 م، صفحة 82). فإبعاد الشيء عن مكانه أو حاله الأصليّ هو الذهاب والإزالة. أما أزلّ فهو الذهاب مع انزلاق وعثرة.

وهناك فرق بين الإزالة والتنحية

الإزالة: تكون في جميع الاتجاهات، بينما التنحية: تكون إلى اليمين، واليسار والخلف والقُدَّام وَلَا يُقَال لما صعد بِهِ أَو سفل بِهِ نحي.

والزَلّة: خطأ غير مقصود (ينظر: (أبو هلال العسكري، صفحة 297).

الفرق بين الزوال والانتقال

الانتقال: يكون في جميع الاتجاهات ويستوجب أن يكون هناك مكانٌ يُنتقَلُ إليه.

الزوال: يحدث في بعض الاتجاهات، ولا يستخدم للصعود.

والزوال يتطلب ثباتاً واستقراراً سابقاً مثل: زوال الملك أو زوال الشمس بعد ثباتها الظاهر في كبد السماء. أما الانتقال فلا يشترط الاستقرار السابق (أبو هلال العسكري، صفحة 147)

وقال الراغب في مفرداته: ((الزلة: في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد، ... وقيل: للذنب من غير قصد: زلّة تشبيهاً بزلة الرجل، قال تعالى: {فَإِن زَلَلْتُم} البقرة 209)، وقوله: {فأزلّهما الشيطان} (البقرة 36)، و{استَزَلهم الشيطان} (آل عمران 155)، أي: استجرهم الشيطان حتى زلُوا)) (الراغب، 1416هـ–1996م، صفحة 381). فزل هنا يأتي بمعنى الوقوع في الخطأ من غير قصد.

فالزوال هو التغير والمفارقة، يقال: زال الشيء يزول زوالاً: فارق طريقتَه جانحاً عنه، فالشيء زال وانحرف عن المسار الأصليّ وتحول إلى حالة أخرى. قال تعالى: سمحإِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن

زَالَتَآسجى(فاطر 41)، وقوله: سمحلِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُسجى(إبراهيم 46). وكذلك قوله تعالى: سمحلَوۡ تَزَيَّلُواْ سجى(الفتح 25)، وسمحفَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ سجى(يونس 28). وقال: زال ضد الثبات، وهو يقتضي النفي، والنفيان معاً يكونان إثباتاً، كقوله تعالى: سمحوَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ سجى(هود 118)، وسمحلَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ سجى (التوبة 110)، وسمحفَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦسجى(غافر 34) (ينظر: (الراغب، 1416هـ-1996م، صفحة 387) .

من خلال ماسبق يمكننا القول أن الإزالة والزوال والزلة يشتركان في معاني الاختفاء والذهاب والتغير والتَحَوُّل عن الحالة الأصليّة، بينما يختلفان في الطريقة والسياق: فإن الزوال يرتبط بالتغير التدريجيّ ويدُلّ على الذهاب والاضمحلال بعد الاستقرار، إذاً هو اختفاء طبيعيّ من غير تدخل قوة خارجيّة، مثل زوال الشمس، وزوال الملك.

لكن الإزالة تشير إلى التنحية والإبعاد والإذهاب أو المحو وتحدث بفعل قوة خارجيّة، ويكون مفاجئاً وتدريجياً، مثل إزالة الكتابة، إزالة الغم، وإزالة الألم. أما الزلة فهو اضطراب مفاجيء وغير مقصود، يؤدي إلى السقوط أو الابتعاد مثل زلت قدمه، وزل في كلامه، فهو أقرب إلى الزوال الطبيعيّ والمفاجئ فليست إزالة مقصودة ولا زوالاً تدرجياً، فهي انحراف وابتعاد عن الموضع الأصلي.

والفرق بين زال وأزال، أشار المفسرون انهما بمعنى إلا أن هناك فرقاً بينهما، زال يحدث بنفسه وتلقائياً، لكن أزال يحتاج إلى فاعل يؤثر عليه.

فالجذر زول بمشتقاته ورد أربعاً وعشرين مرة في القرآن الكريم وبدلالاتٍ متعددة منها:

المبحث الأول

دلالة التنحية والإبعاد

قوله تعالى: سمحفَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖسجى (البقرة 36)

وقريء: (((فَأَزَالَهُمَا) بِمَعْنَى إِزَالَةِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، وَذَلِكَ تَنْحِيَتُهُ عَنْهُ)) (الطبري، 1422 هـ - 2001 م، صفحة 560/1)(وينظر: (القيسي، 1429 هـ - 2008 م، صفحة 236/1) (ابن عاشور، 1984، صفحة 434/1). يعني نقل شيء ثابت وتنحيته.

قال الطبريّ (ت310): إن ((إِبْلِيسَ أَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ فَأَزَالَهُمَا، فَلَا وَجْهَ إِذْ كَانَ مَعْنَى الْإِزَالَةِ مَعْنَى التَّنْحِيَةِ وَالْإِخْرَاجِ أَنْ يُقَالَ: فَأَزَالَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، فَيَكُونَ كَقَوْلِهِ: فَأَزَالَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَزَالَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى الْمَفْهُومَ أَنْ يُقَالَ: فَاسْتَزَلَّهُمَا إِبْلِيسُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ)) (الطبري، 1422 هـ - 2001 م، صفحة 560/1). أي: إنّ إبليس أزل آدم وحواء عن طاعة الله، فاخرجهما مباشرة من الجنة، فالإخراج كان نتيجة لذلك.

فأزلهما: يأتي بمعنى الإبعاد والتنحية، يقال: زلّت قدمُه زلّلا وزليلا، إذا لم تثبت. وأزلها صاحبها، إذا حملها على الزلل. فيقال: زال عن مكانه، وأزاله غيره. وأسند هذا الفعل إلى الشيطان؛ لأنّ زوالهما عن الجنة إنما كان بتزيينه (ينظر: (الواحدي أ.، 1415هـ - 1994م، صفحة 122/1).

وإن (أَزَلَّ)، و(اسْتَزَلَّ)، ((يأتيان بمعنى واحد. فاستزلهم بمعنى طَلَبَ زَلَّتَهم؛ كما يقال: (استعجلته)؛ أي: طَلَبْتُ عَجَلَتَهُ، و (استعملته): طَلَبْتُ عَمَلَهُ)) (الواحدي أ.، 1430هـ، الصفحات 101/6-222/8) (وينظر: (الجوزي، 1422 هـ). فلم يفرقوا بين الفعلين، لكننا نرى أن هناك فرقاً بين الفعلين في المعنى فكلاهما من الجذر زلل، إلا أن أزل يدُلّ على الوقوع

المباشر في الزلل دون مقدمة، أما أستزل يدُلّ على الطلب والمبالغة في الزلل مع سبق خطأ ومكر من الشيطان. فإن الشيطان هو الذي دفعهما للوقوع في الخطأ أو الزلل وهو الأكل من الشجرة، ثم أزالوا عنها، أي: جاءت الإزالة كنتيجة، فتم إخراجهما من الجنة عقوبة على الخطأ.

فَأَزَلَّهُمَا ((يعني (استمال) آدم وحوّاء فأخرجهما ونحّاهما، والشيطان هو إبليس، وهو فيعال من شطن أي بعد)) (الثعلبي، 1422، هـ – 2002 م، صفحة 182/1) (وينظر: (البغوي، 1420هـ، صفحة 160/1) (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ – 2000 م، صفحة 260/1). وذلك لبعده عن الخير والرحمة

وإن (زل، وزال) يتقاربان، فكلاهما يدُلّان على التَحَوُّل والتغير إلا أن زل يقتضي سقوطاً وعثرة مع الزوال، يقال: زلت رجله في المشي ولسانه بالقول، بخلاف زال فلا يشترط فيه العثرة أو السقوط (ينظر: (الراغب الأصفهانى، 1420 هـ – 1999 م، صفحة 156/1) (الرازي، 1420هـ، صفحة 72/1).

{فَأَزَلَّهُمَا} بمعنى نحَّاهُما، إذا تنحَّيْتَ عن المكان، وهو بمعنى استزلَّهما من الزلل، وهو الخطأ، وسمي زَلَلاً؛ لأنه زوال عن الحقّ (ينظر: (الماوردي، د.س، صفحة 106/1). وأضاف الرازي(606) دلالة التَحَوُّل المتحققة من تفاعل اللفظ في هذا السياق فقال: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها}: ((هُوَ مِنَ الزَّلَلِ يَكُونُ الْإِنْسَانُ ثَابِتَ الْقَدَمِ عَلَى الشَّيْءِ، فَيَزِلُّ عَنْهُ وَيَصِيرُ مُتَحَوِّلًا عَنْ ذَلِكَ الموضع، ومن قرأ فأزالهما فَهُوَ مِنَ الزَّوَالِ عَنِ الْمَكَانِ، ويُقَالُ: أَزَلْتُكَ عَنْ كَذَا حَتَّى زِلْتَ عَنْهُ وَأَزْلَلْتُكَ حَتَّى زَلَلْتَ وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، أَيْ: حَوَّلْتُكَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ أَيِ اسْتَزَلَّهُمَا، فَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ زَلَّ فِي دِينِهِ إِذَا أَخْطَأَ وَأَزَلَّهُ غَيْرُهُ إِذَا سَبَّبَ لَهُ مَا يَزِلُّ مِنْ أَجْلِهِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ)) (الرازي، 1420هـ، صفحة 455/3)(وينظر: (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ – 2000 م، صفحة 398/3). والْهَمْزَةُ فِي فأَزَلَّهما ((للتَّعْدِيَةِ، وَالْمَعْنَى: جَعَلَهُمَا زَلَّا بِإِغْوَائِهِأن وَقِيلَ أَزَلَّهُمَا: أَبْعَدَهُمَا. تَقُولُ: زَلَّ عَنْ مَرْتَبَتِهِ: أَيْ ذَهَبَ وَسَقَطَ؛ لِأَنَّ الزَّلَّةَ هِيَ سُقُوطٌ فِي الْمَعْنَى، إِذْ فِيهَا خُرُوجُ فَاعِلِهَا عَنْ طَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ، وَبُعْدُهُ عَنْهَا. وَمَعْنَى الْإِزَالَةِ: التَّنْحِيَةُ)) (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ – 2000 م، صفحة 260/1). فإنّ الشيطان أوقعهما في الخطأ وجَعَلَهُمَا يزلان بوسوسته. فأزلهما من الفعل زلّ يدُلّ على السقوط أو التحرك بعيدا عن الاستقامة، وفي الآية يشير إلى الإبعاد أو التنحية إذ أُخرِجوا من الاستقامة إلى حالة السقوط أو البعد عن الطريق المستقيم. والفاء في فأزلهما حرف عطف وفسر هنا بأنه تعقيب عرفي، والأحسن جعل الفاء للتفريع مجردة عن التعقيب. أي ليس بالضرورة أن يكون واقعاً بعده مباشرة (ينظر: (ابن عاشور، 1984، صفحة 433/1). ((والإزلال جعل الغير زالا أي قائما به الزلل وهو كالزلق أن تسير الرجلان على الأرض بدون اختيار لارتخاء الأرض بطين ونحوه، أي ذاهبة رجلاه بدون إرادة، وهو مجاز مشهور في صدور الخطيئة والغلط المضر ومنه سمي العصيان ونحوه الزلل)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 433/1).

والضمير عنها يجوز أن يعود إلى الشجرة؛ لأنه الأقرب، أي: أزلهما إزلالا ناشئا عن الأكل من الشجرة، ففي هذه الحالة يكون الأكل منها هو السبب المباشر للإزالة. ويجوز كون الضمير للجنة وتكون (عن) على ظاهرها والإزالة تعبير مجازيّ عن الإخراج بغير الاختيار أو بكره كمن يزل عن موقفه فيسقط (ينظر: (ابن عاشور، 1984، صفحة 433/1).

فالاستعمال القرآنيّ للفظة أزلهما لم يبتعد عن المعنى المعجميّ فكانت اللفظة في ذلك السياق دالًّا على فقدان مكانتهما أو زوال وخسران نعمة وجودهما في الجنة؛ فحملت معانٍ ضمنيّةً إذ تضمنت (عثرة أو خطأ) أدى بهما إلى عقوبة الطرد

فلم يكن إخراجهما من الجنة فعلاً مباشراً من إبليس بل كان نتيجة... فضمّت لفظة (أزلهما) الخطأ منها والنتيجة التي ترتَّبت على هذا الخطأ.

وقوله تعالى: سمحفَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌسجى (البقرة 209)

فالمقصود بزللتم هنا ضللتم أو أخطأتم أو الشرك ومخالفة الْإِسْلَام، وَشَرَائِعه، وأن الله سبحانه وتعالى قد بين الأدلة القاطعة على صحة الإسلام، فلا عذر لكم أيها المؤمنون، وهو القويّ العزيز الذي لا يعجزه شيء، وسيعاقبكم إن خالفتم أوامره، وأيضاً حكيم في عقوبته وتصرفه (ينظر: (الطبري، 1422 هـ - 2001 م، الصفحات 603/3-605) (الثعلبي، 1422، هـ - 2002 م، صفحة 127/2) (البغوي، 1420هـ، صفحة 268/1) (الرازي، 1420هـ، صفحة 355/5).

فالزّلة والخطأ بعد وضوح الدليل أشد قبحاً من كثير من الزلات التي تقع قبل ظهور الدليل والحجة (ينظر: (القشيري، صفحة 172/1) (الراغب الأصفهانى، 1420 هـ - 1999 م، صفحة 433/1).

فزل ((إذا ضل وَتَنَحَّى عَن الطَّرِيق، وأزل يزل: إذا أسدى نعْمَة إِلَى غَيره)) (السمعاني، 1418هـ- 1997م، صفحة 210/2). ومنهم من قال: إن زَلَلْتُم تأتي بمعان ((عصيتم، وكفرتم، وضللتم)) (الماوردي، د.س، صفحة 268/1)، وأبو حيان جعلها أربعة فزاد أخطأتم على المعاني الثلاث.

قال الفخر الرازي: ((يُقَالُ: زَلَّ يَزِلُّ زُلُولًا وَزِلْزَالًا إِذَا دَحَضَتْ قَدَمُهُ وَزَلَّ فِي الطِّينِ، وَيُقَالُ لِمَنْ زَلَّ فِي حَالٍ كَانَ عَلَيْهَا: زَلَّتْ بِهِ الْحَالُ، وَيُسَمَّى الذَّنْبُ زَلَّةً، يُرِيدُونَ بِهِ الزَّلَّةَ لِلزَّوَالِ عَنِ الْوَاجِبِ فَقَوْلُهُ: فَإِنْ زَلَلْتُمْ أَيْ أَخْطَأْتُمُ الْحَقَّ وَتَعَدَّيْتُمُوهُ)) (ينظر: (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ - 2000 م، صفحة 341/2). فزلّ وزال يتقاربان، ولكن زال أبلغ، فالفعل زلّ تكون من غير قصد ويدُلّ على السقوط أو الانحراف عن الطريق المستقيم (ينظر: (الراغب الأصفهانى، 1420 هـ - 1999 م، صفحة 433/1).

فالفعل زللتم يأتي بمعنى تنحيتم أو الانحراف عن الطريق المستقيم، وأصله من زلل وانزلاق القدم، ثم استُخدم مجازاً للتعبير عن الخطأ والذنب (ينظر: (القرطبي، 1384 هـ - 1964 م، صفحة 24/3) (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ - 2000 م، صفحة 341/2) (الثعالبي، 1418هـ، صفحة 428/1).

وإن ((عَدَلْتُمْ وانحرفتم وابتعدتم عن طريق الحق)) (ابن كثير، 1420 هـ - 1999 م، صفحة 566/1). فتشير أداة الشك (إن) إلى أن الطريق أصبح واضحاً بمجيء البينات، وعبر عنها بالفعل الماضي زللتم ليدُلّ على إمكانيّة الرجوع عن الزلل برحمة الله كما رحم أبويهم من قبل (ينظر: (البقاعي، (1389 - 1404 هـ) (1969 - 1984 م)، الصفحات 181/3-182).

فإن زللتم: ((تفريع على النهي أي: فإن اتبعتم خطوات الشيطان فزللتم أو فإن زللتم فاتبعتم خطوات الشيطان وأراد بالزلل المخالفة للنهي)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 279/2). فيأتي الزلل كنتيجة لاتباع خطوات الشيطان أي: إن زللتم فذلك باتباعكم لخطوات الشيطان، وأصل الزلل من الزلق أي: اضطراب القدم، ويراد تحركها وتثبيتها في الموضع المقصود إثباتها به، فاستعمل هنا مجازا للدلالة على الضرر الناشئ عن اتباع وساوس الشيطان، إذ يشبه اتباع وساوسه بالزلة التي تصيب القدم عندما تجري في طريق زلق. فكما أن اتباع الشيطان يؤدي إلى الضرر، كذلك المشي في طريق زلق يؤدي إلى السقوط.

والبينات: الأدلة والمعجزات ومجيؤها ظهورها وبيانها؛ لأن المجيء هو ظهور الشخص بعد غيبته.

واستخدم إن في الشرط (ينظر: (ابن أم قاسم، 1413 هـ – 1992 م، صفحة 208) لانعدام حدوث الزلة من المؤمنين، وخاصة إذا كان الإيمان ظاهريا. وقوله: فاعلموا أن الله عزيز حكيم هي جواب الشرط، وأن الله عزيز حكيم، مفعول فاعلموا، والمقصود العقاب على المخالفات.

والعزيز: ((فعيل من عز إذا قوي ولم يغلب، وأصله من العزة ... فكان العلم بأنه تعالى عزيز مستلزما تحققهم أنه معاقبهم لا يفلتهم، لأن العزيز لا ينجو من يناوئه. والحكيم يجوز أن يكون اسم فاعل من حكم أي قوي الحكم، ويحتمل أنه المحكم للأمور فهو من مجيء فعيل بمعنى مفعل، ومناسبته هنا أن المتقن للأمور لا يفلت مستحق العقوبة)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 280/2). ففي الكلام وعيد بأن أي شخص استحق العقوبة فلا مهرب له من عقاب الله. فإن الله عزيز لا تُرد قوته، وحكيم لا يعاقب أحداً إلا من استحق العقاب.

فالزلل في أصل معناه هو الانحراف والسقوط واستخدم مجازاً للخطأ أو الذنب. وفي سياق الآية (زللتم) يشير إلى الابتعاد عن الهداية بعد تبيان الحق ووجود الحجة، فالآية استخدمت اللفظة مجازاً للتعبير عن الانحراف السلوكيّ، وذلك الاستخدام يعكس المعنى الأصليّ للزلل، إذ يشير إلى فقدان الثبات سواء معنويًّا بالابتعاد عن الصواب أو حسيًّا بانزلاق القدم، فالمعنى المعجميّ والمعنى القرآنيّ متطابقان، وهذا تأكيد على أن المادّة احتفظت بدلالتها الأصليّة في السياق القرآني.

وقال تعالى: سمحإِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ سجى (آل عمران 155) فالَّذِينَ وَلَّوا ظهرهم عَنِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ فروا وَانْهَزَمُوا في المعركة عندما اشتد القتال، يَوْمَ الْتَقَى جَمْعُ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْلِمِينَ بِأُحُدٍ وكان عددهم نحو سبعين رجلاً، إِنَّمَا دَعَاهُمْ الشيطان إِلَى الزَّلَّةِ والخطأ والانحراف بسبب وسوسته، فحُبُّهُمْ لِلْغَنِيمَةِ، وحِرصهم عَلَى الْحَيَاةِ، تركوا المركز الذي أمرهم رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه. وهذا ما أدى إلى هزيمتهم (ينظر: (الطبري، 1422 هـ – 2001 م، صفحة 172/6) (النسفي، 1419 هـ – 1998 م، صفحة 304/1) (الطيبي، 1434 هـ – 2013 م، صفحة 313/4) (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ – 2000 م، صفحة 398/3). فالفعل اسْتَزَلَّ: على وزن اسْتَفْعَلَ، مِنَ الزَّلَّةِ، وَالزَّلَّةُ: هِيَ الْخَطِيئَةُ، وصيغة استفعال يعني طلب الزلل أو التسبب فيه.

فالشيطان قد أزل الذين انهزموا يوم أُحد، وهذا الانهزام إما أن يكون بسبب خَطَايَا سَلَفَتْ مِنْهُمْ، فكرهوا الثبوت لئلا يقتلوا قَبْلَ التَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَنْهَا، أو بسبب فساد الارادة بأن تكون النيّة غير صادقة مع الله، أو ضعفٍ دينيّ مهّد الطريق للانهزام. وقيل: استزلهم هنا يشمل كل منهزم فهو عام فيمن أبعد ومن لم يبعد في ساحة المعركة (ينظر: (الراغب الأصفهانى، 1420 هـ – 1999 م، الصفحات 940/3–941) (الزمخشري، 1407 هـ – 1987 م، صفحة 430/1) (القرطبي، 1384 هـ – 1964 م، صفحة 243/4) (البيضاوي، 1418 هـ، صفحة 44/2) (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ – 2000 م، صفحة 398/3) (ابن كثير، 1420 هـ – 1999 م، صفحة 128/2).

فاستزلهم بمعنى طَلَبَ زَلَّتَهُمْ كَمَا يُقَالُ: اسْتَعْجَلْتُ فُلَانًا إِذَا طَلَبْتُ عَجَلَتَهُ وَقِيلَ: الزَّلَّةِ هِيَ الْخَطِيئَةُ وأن أَزَلَّ وَاسْتَزَلَّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ (ينظر: (البغوي، 1420هـ، صفحة 525/1) (الرازي، 1420هـ، صفحة 398/9). وقد ناقش ابن عاشور دلالة الصيغة الصرفيّة استفعل في قوله تعالى: {استزلهما} فقال: ((السين والتاء فيه للتأكيد، مثل استفاد واستبشر واستنشق، مثل قوله تعالى: {واستغنى الله} (التغابن 6) وقوله: {أبى واستكبر} (البقرة 34). ولا يحسن حمل السين والتاء على معنى الطلب لأن المقصود لومهم على وقوعهم في معصية الرسول، فهو زلل واقع)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 140/4).

وقال: المراد بالزلل: ((والمراد بالزلل الانهزام، وإطلاق الزلل عليه معلوم مشهور كإطلاق ثبات القدم على ضده وهو النصر)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 140/4). والباء في ببعض ما كسبوا للسببيّة، أي: أن هزيمتهم كانت بسبب ذنوبهم بمخالفتهم وعصيانهم أمر الرسول، والتنازع، والتعجيل في جمع الغنيمة، والمعنى أن ما أصابهم كان من آثار الشيطان، رماهم فيه ببعض ما كسبوا من صنيعهم (ينظر: (ابن عاشور، 1984، الصفحات 139/4-140).

فاستزلهم في الآية تأتي بمعنى طلب الزلة أي: إنّ الشيطان استزلّهم بوسوسته ومعصيته فهزموا، فدلّ على التَحَوُّل من حال الثبات إلى الانهزام، فالزلل يزيل الثبات والاستقامة، وتزيل الحماية الإلهيّة وتمحو الاستحقاق للنصر.

المبحث الثاني

دلالة/ الاستمرار والثبات

قوله تعالى: سمحوَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ سجى (البقرة 217)

أي: إنّ مشركي قريش لا يَزالُونَ، يُقاتِلُونَكُمْ، حَتَّى يَصْرِفُوكُمْ، عَنْ دِينِكُمْ إن قدروا ذلك.

قوله لا يزالون يقاتلونكم المراد به ((أسباب القتال، وهو الأذى وإضمار القتال كذلك، وأنهم إن شرعوا فيه لا ينقطعون عنه، على أن صريح لا يزال الدلالة على أن هذا يدوم في المستقبل)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 331/2). فعلى الرغم من وقوع القتال لكن المراد استمرار أسباب القتال فـ(يزالون) هنا يفيد الدوام والاستمرار في المستقبل.

والضَّمِيرُ فِي: يَزَالُونَ، لِلْكُفَّارِ، وَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ فِي: يُقَاتِلُونَكُمْ، للمؤمنين وَانْتَقَلَ الخِطَابُ من رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِفَرْطِ عَدَاوَةِ الْكُفَّارِ وَمُبَايَنَتِهِمْ لَهُمْ، مما يستوجب الحذر (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ - 2000 م، الصفحات 390/2-391).

و{حتى يَرُدُّوكُمْ} حتى حرف جرٍ، ومعناها يحتمل وجهين: أحدهما: الغاية. والثاني: التَّعليل بمعنى كي، والتَّعليل أحسن. ويَزَالُونَ من زال النَّاقصة التي ترفع الاسم، وتنصب الخبر (ينظر: (ابن عادل، 1419 هـ -1998 م، صفحة 20/4) (ابن عاشور، 1984، صفحة 331/2)، فـ(حتى) هنا يكون للتعليل، وَالدِّينُ هُنَا الْإِسْلَامُ، وإِنِ اسْتَطَاعُوا، جملة شرطيّة، وجَوَابُهُ مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ، تقديره: إِنِ اسْتَطَاعُوا فَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ، وَمنهم من قال ليس محذوفاً بل متقدم فلَا يَزَالُونَ، هُوَ الْجَوَابُ (ينظر: (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ - 2000 م، صفحة 390/2). فحتى تكون حرف جر يفيد الغاية أي: الغاية والهدف الذي يسعون لتحقيقه، وهو محاولاتهم المستمرة إلى أن يردوكم، وتكون بمعنى كي أي: أن الفعل يحدث لأجل سبب معين، وهو الرد والإرجاع.

والرد: ((الصرف عن شيء والإرجاع إلى ما كان قبل ذلك)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 331/2). أي: إرجاع الشيء إلى حالته الأوليّة.

فلا يزالون في الآية تدل على الاستمرار وعدم الانقطاع، أي: لا يزالون مستمرين في أذى المسلمين وهذا يدُلّ على أن عداءهم للمسلمين دائم ومتجدد، ف يزالون في الآية لا يعبر عن التَحَوُّل أو الانتقال، بل يشير إلى الاستمرار الدائم في القتال لتغيير الوضع الموجود.

وقوله تعالى: سمحفَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَسجى (الأنبياء 15)

أَيْ: ((مَا زَالَتْ تِلْكَ الْمَقَالَةُ، وَهِيَ الِاعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ هِجِّيرَاهُمْ حَتَّى حَصَدْنَاهُمْ حَصْدًا، وَخَمَدَتْ حركاتهم وأصواتهم خمودا)) (ابن كثير، 1420 هـ - 1999 م، صفحة 335/2). فإن اعْتِرَافهم بِالظُّلْمِ باقية ومستمرة، كعادتهم المتكررة، حتى آن

وقت استئصالهم، فأهلكناهم إهلاكاً لا رجعة فيه. ((فـ "زال"... خلاف الثبات. ألا ترى أن معنَى "زال": "برح"؟ فإذا دخل حرفُ النفي، نُفي البَراح، فعاد إلى الثبات وخلافِ الزَّوال. فإذا قلت: "ما زال زيدٌ قائمًا"، فهو كلامٌ معناه الإثبات، أي: هو قائمٌ، وقيامُه استمرّ فيما مضى من الزمان)) (ابن يعيش ، 1422 هـ – 2001م، صفحة 359/4) فما زال: تدَلُّ على الإثبات والوقوف في الزمن الماضي.

وكذلك قوله تعالى: سمحوَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦسجى (غافر 34)، فما زلتم يأتي بمعنى الاستمرار أي: مازلتم أو مابرحتم أنتم مستمرين على طريق آبائكم أو تبعاً لآبائكم، في شك مترددين ومضطربين وغير واثقين من التوحيد وما يتبعه، وعدم وصولهم إلى اليقين؛ لأن شكهم لم يكن مؤقتاً بل كان مستمراً. (ينظر: (البقاعي، (1389 – 1404 هـ) (1969 – 1984 م)، صفحة 64/17) (ابن عاشور، 1984، صفحة 139/24).

قال الراغب: هذه الآيات كلها تأتي بمعنى الاستمراريّة والنفي المستمر، حيث تشير إلى استمرار وقوع الفعل دون انقطاع، مما يدُلّ على ثبات الحالة وعدم زوالها عبر الزمن (ينظر: (الراغب الأصفهانى، 1420 هـ – 1999 م، صفحة 446/1). وكذلك قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ} (هود 118)، أي: استمرار اختلاف الناس في آرائهم، وهذه سنة كونيّة لا تتوقف. وقوله: {لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ} (التوبة 110)، معناه: ((أن ذلك المسجد لما بنوه لغرض فاسد فقد جعله الله سببا لبقاء النفاق في قلوبهم ما دامت قلوبهم في أجسادهم)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 36/11). فالمسجد الذي بنوه لأغراض فاسدة أصبح سبباً في استمرار النفاق، وعدم استقرار النفس لديهم. وقوله: {وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} (الرعد 31)، المعنى ((وَلَا يَزَالُ كُفَّارُ مَكَّةَ تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالتَّكْذِيبِ قَارِعَةٌ)) (الرازي، 1420هـ، صفحة 43/19). فنتيجة أفعالهم استمر العقوبة عليهم.

والملاحظ مما سبق أن الفعل مازال جاء بصيغة النفي للدلالة على البقاء والاستمرار، فدلالة زال في هذه الآيات الثبات فهو عكس الإزالة والمحو فبدل أن تفيد الذهاب والابتعاد والانتهاء أفاد النفي أي: استمرار الشيء وبقاءه. فتعد مقابلاً دلاليًا لمفهومي المحو والإزالة.

المبحث الثالث

دلالة/ التَحَوُّل والتغير

تنقسم دلالة التَحَوُّل والتغير إلى شطرين، الشطر الأول التَحَوُّل التام، في قوله تعالى: {أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ} (ابراهيم 44)، له دلالة اختفاء انمحاء ذهاب، وقوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ} (فاطر 41)، في بيان قدرة الله على تغير الثوابت الذهنيّة بالاعتقاد أنهم سيخلدون أو إذا ماتوا لم يبعثوا، وفي تغير القضايا الماديّة من حول الإنسان السماء والأرض.

أما دلالة التَحَوُّل والتغير غير التام المتحقق في قوله تعالى: سمحفَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا سجى (النحل 94).

وردت لفظة زوال بمعنى التَحَوُّل والتغير في قوله تعالى: سمحأَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ سجى (ابراهيم 44)

نلاحظ في دلالة التَحَوُّل والتغير الذي استعملت فيه لفظة الزوال في سورة ابراهيم تغير في وتيرة السياق إذ استهل بالاستفهام الإنكاريّ على المشركين فالزوال هنا يتخذ بُعداً كونيًا وجوديًا ويعبرعن التَحَوُّل الجذريّ في نظام الوجود فقد

جاء اللفظ مشحوناً بالدلالة مثل ما يبدو ثابتاً في ذهن المتمسك بالحياة عُرضة للتَحَوُّل في جوهره خاضع لسنن الزوال فيستعمل هذا اللفظ ليخلخل يقين الإنسان بصلابة الواقع وثباته. هذه الآية فيها توبيخ من الله لمشركي قريش بعد دخولهم النار أي: يوم القيامة، بسبب انكارهم البعث؛ لأنهم حلفوا في الدُّنيا أنَّهم لا يُبعثون ولا ينتقلون إلى الآخرة، وعندما طلبوا رفع العذاب ليتوبوا، ذكرهم بانكارهم البعث بعد الموت (الطبري، 1422 هـ – 2001 م، صفحة 715/13) (القيسي، 1429 هـ – 2008 م، صفحة 3838/5) (الواحدي أ.، 1415 هـ، صفحة 585) (الزمخشري، 1407 هـ – 1987 م، صفحة 565/2) (الرازي، 1420هـ، صفحة 109/19).

{وَمَا لَكُمْ} ((جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية، والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت)) (البيضاوي، 1418 هـ، صفحة 202/3) (النسفي، 1419 هـ – 1998 م، صفحة 178/2)، وَلَوْ حَكَى لَفْظَ الْمُقْسِمِينَ لَقِيلَ: ((مَا لَنَا مِنْ زَوَالٍ، وَالْمَعْنَى: أَقْسَمْتُمْ أَنَّكُمْ بَاقُونَ فِي الدُّنْيَا لَا تَزُولُونَ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ، أو لَا تَنْتَقِلُونَ إِلَى دَارٍ أُخْرَى)) (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ – 2000 م، صفحة 453/6).

فالفعل أقسمتم بمعنى حلفتم جهلاً وسفهاً أو أشراً وبطراً. ووقت إقسامهم لم يكن مستمرا في كل زمان بل كان في الماضي، وذكر الجواب المقسم عليه صريحاً وبوضوح حتى لا يكون هناك مجال للجدل. وأكد النفي فقال: {من زوال}؛ لأنهم ظنوا أنهم ثابتون عما هم عليه من الكفران وعدم الإيمان، أو من هذه الدار إلى الدار الآخرة، أو في أماكنهم (ينظر: (البقاعي، (1389 – 1404 هـ) (1969 – 1984 م)، الصفحات 435/10–436). ((وافتتحت جملة الجواب بواو العطف تنبيها على معطوف عليه مقدر هو رفض ما سألوه، حذف إيجازا لأن شأن مستحق التوبيخ أن لا يعطى سؤله. التقدير كلا وألم تكونوا أقسمتم.. الخ)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 248/13). رفض ما سألوه، فحذف إيجازا؛ لأن من يُوبَّخ لا يُستجاب له.

وجملة ما لكم من زوال بيان لجملة أقسمتم. لذلك لم يستخدم فيها ضمير المتكلم ما لنا من زوال، بل جاء بضمير المخاطب مالكم ليتناسب مع قوله السابق {أولم تكونوا أقسمتم}. مما يجعل الخطاب أكثر قوة وتأثيراً. وهذا القسم قد يكون صادراً من جميع الظالمين حين كانوا في الدنيا لأنهم كانوا يتلقون التعاليم من أسلافهم، وهذا ما جعل إنكار البعث أمراً مشتركاً بينهم (ينظر: (ابن عاشور، 1984، صفحة 249/13).

وقيل: {مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ} أي: ما لكم من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة، ويُحتمل أن تكون دلالة ما لكم من زوال عن العذاب (ينظر: (الماوردي، د.س، صفحة 142/3) (الكرماني، صفحة 966) (القرطبي، 1384 هـ – 1964 م، صفحة 378/9) (ابن كثير، 1420 هـ – 1999 م، صفحة 516/4). والزوال: ((الانتقال من المكان. وأريد به هنا الزوال من القبور إلى الحساب)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 248/13). وهنا الانتقال من القبور إلى الحساب يوم القيامة.

كما أن الزوال في اللغة يشير إلى التَحَوُّل من حال إلى أخرى، ففي الاستعمال القرآنيّ يعكس هذا المفهوم من خلال الإشارة إلى تَحَوُّل الحال وانتهاء ماكان مستقراً، فإن الزوال قد يكون حسيًّا مثل زوال الأجسام عن أماكنها، وقد يكون معنوياً، كزوال النعمة أو الملك، كما في الآية فظن هؤلاء أن ملكهم وحياتهم دائمة ولا تزول، لكنهم أدركوا بعد ذلك أن الزوال حتمي.

وقال تعالى: سمحوَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَاسجى (النحل 94)

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَا تجعلوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا وَخَدِيعَةً بَيْنَكُمْ، تخدعون النَّاسَ بِهَذه الأيمان {فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} يَقُولُ: فتزلوا وتُهْلِكُوا بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ آمِنِينَ مِنَ الْهَلَاكِ، فبسبب أيمانكم هذه تهلكون، بعد إن كنتم معافى، يقول: وهَذَا مَثَلٌ لِكُلِّ مُبْتَلًى بَعْدَ عَافِيَةٍ، أَوْ سَاقِطٍ فِي وَرْطَةٍ بَعْدِ سَلَامَةٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ: فزَلَّتْ القدم، يدُلّ على زوال الثبات والسلامة (ينظر: (الطبري، 1422 هـ - 2001 م، صفحة 348/14) (الثعلبي، 1422، هـ - 2002 م، صفحة 39/6) (البغوي، 1420هـ، صفحة 41/5).

ففي الآية ((وعيد على نَقْضِ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على الْإِيمَانِ بِهِ وَشَرَائِعِهِ. وَقَوْلُهُ: فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها مَثَلٌ يُذْكَرُ لِكُلِّ مَنْ وَقَعَ فِي بَلَاءٍ بَعْدَ عَافِيَةٍ، وَمِحْنَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ، فَإِنَّ مَنْ نَقَضَ عَهْدَ الْإِسْلَامِ فَقَدْ سَقَطَ عَنِ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ وَوَقَعَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الضَّلَالَةِ)) (الرازي، 1420هـ، صفحة 266/20) وينظر: (القرطبي، 1384 هـ - 1964 م، صفحة 172/10) (ابن عادل، 1419 هـ -1998 م، صفحة 151/12)، وليس المقصود التحذير من نقض مُطْلَقِ الْأَيْمَانِ، فمن نَقَضَ عَهْدَ الْإِسْلَامِ فَقَدْ انحدر عن الدرجات الرفيعة ومراتب الهداية.

والزلل: ((تزلق الرجل وتنقلها من موضعها دون إرادة صاحبها بسبب ملاسة الأرض من طين رطب أو تخلخل حصى أو حجر من تحت القدم فيسقط الماشي على الأرض)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 268/14). فالزلل يؤدي إلى سقوط الماشي على الأرض فهي تمثيل لتخلخل الحال والانهيار والتعرض للضر؛ لأنه يؤدي إلى السقوط وثبوت القدم يدُلّ على الثبات والاستقامة. فشبه حال الذي ينقض الأيمان بحال الذي يمشي على طريق ثابت فزلت قدمه فسقط، فهو عكس الثبات ويدُلّ على إزالة الاستقرار والاستقامة، فإن إفراد ونكرة القدم يدُلّ على كل حال ثبات سواء كان فرديًا أو جماعيًا تنقلب إلى اضطراب وإزالة. ويعد الزلل تصويراً لانحطاط الإنسان من حال سعادة إلى حال شقاء ومن حال سلامة إلى حال محنة.

ورد في الآية لفظ الثبوت وليس الثبات وكلاهما مصدر ثبت، إلا أن المتأخرين من الكتاب فرقوا بينهما وقالوا: جعلوا الثبوت الذي بالواو بالمعنى المجازيّ وهو التحقق مثل ثبوت عدالة وثبت الحكم، أي: تقرر وتحقق، وجعلوا الثبات الذي بالألف بالمعنى الحقيقيّ وهي الرسوخ وعدم التنقل، كرسوخ القدم في الأرض، أي: ثبت واستقر. فيفهم من هذا أن الزلل هنا تمثيل للزوال المعنويّ كالانهيار الداخلي، واختلال الحال والتعرض للضر؛ لأنه يترتب عليه السقوط أو الكسر، كما أن ثبوت القدم تمكن الرجل من الأرض، وهو تمثيل لاستقامة الحال ودوام السير (ينظر: (ابن عاشور، 1984، صفحة 269/14).

يتضح من أقوال المفسرين أن نقض العهد يؤدي إلى زوال الاستقرار ومحو الاستقامة وزوال الإيمان، وأيضاً إزالة الثقة؛ لأنهم كانوا يستخدمون الأيمان لخداع الناس كما رأينا.

فزلة القدم تَحَوُّل من حال الثبات والاستقرار إلى حالة التخلخل والاضطراب، أي: زوال الحالة المستقرة في الإيمان أو الالتزام بالعهد، إلى البلاء والانهيار والضلال.

وقوله تعالى: سمحإِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗاسجى (فاطر 41)35

إن مُمْسِكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وخالقهما هُوَ اللَّهُ، فَلَا يُوجَدُ حَادِثٌ إِلَّا بِإِيجَادِهِ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا بِبَقَائِهِ. فالله سبحانه وتعالى يمنع السماوات والأرض أن تتحركا وتزولا عن مكانهما، ولئن زالتا لا يستطيع أحد يمنعها من الزوال غير الله. ف (لئن)

هنا بمعنى (لو)؛ لِأَنَّهُمَا يُجَابَانِ بِجَوَابٍ وَاحِدٍ فيتشابهان في المعنى لأن كليهما يفيدان استحالة الحدوث أو الذي لم يقع، وجوابهما،{ما يمسكهما من أحد من بعده} (ينظر: (القيسي، 1429 هـ – 2008 م، صفحة 5990/9) (الواحدي أ.، 1415 هـ، صفحة 895) (الرازي، 1420هـ، صفحة 275/11) (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ – 2000 م، صفحة 27/2). أي: من بعد الزوال

وقيل: مَا يُمْسِكُهُمَا أَحَدٌ سِوَاهُ، مِنْ بَعْدِهِ (ينظر: (البغوي، 1420هـ، صفحة 426/6) (الرازي، 1420هـ، صفحة 91/4). تكرر لفظة (الزوال) مرتين باختلاف الفعل والصيغة، فتزولا فعل مضارع يدُلّ على الحضور والاستمرار واحتمال الوقوع في المستقبل، فاقترنت بيمسكهما بمعنى استمرار ودوام حفظه للكون. والفعل (زالتا) فعل ماضٍ يدُلّ على المضيّ والانقضاء، واقترن بأمسكهما، وهذا دليل على استحالة وقوع الزوال، فبهذا التكرار تتجسد قدرة الله تعالى في نظام الكون وأن السموات والأرض محفوظة بقدرته الدائمة والمستمرة.

وابن كثير يجعل فرقاً بين أن تزولا وزالتا، فيقول: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا} أَيْ: أَنْ تضطربا عن أماكنهما، كما قال عز وجل: وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ (الْحَجِّ 65) {وَلَئِنْ زالَتا} فيدُلّ عَلَى دَوَامِهِمَا وَإِبْقَائِهِمَا، أي: وجودهم (ينظر: (ابن كثير، 1420 هـ – 1999 م، صفحة 494/6).

فعلى الرغم من كبر حجم السماوات والأرض وبعدهما من التماسك، فإن الله سبحانه وتعالى منعهما من الزوال، وأن ادعاء شريك له لا يستقيم، إذ لا يستطيع غير الله أن يمسكهما. وأن السموات والأرض حادثتان زائلتان وهو القادر على إزالتهما إن أراد (ينظر: (البقاعي، (1389 – 1404 هـ) (1969 – 1984 م)، صفحة 71/16) وينظر: (ابن عاشور، 1984، صفحة 327/22).

الإمساك: هو القبض على الشيء باليد لمنعه حتى لا يزول ولا ينفلت، فشبه به حفظ نظام السماوات والأرض من قبل الله. وجاء الفعل متعديًا إلى لفظة الزوال ب(من) لكن في الجملة حذف من الجارة كما هو شأن حروف الجر مع (إن) وأكد هذا الخبر بحرف التوكيد لتحقيق وتقوية معناه (ينظر: (ابن عاشور، 1984، صفحة 327/22).

والزوال: ((والزوال يطلق على العدم، ويطلق على التَحَوُّل من مكان إلى مكان، ومنه زوال الشمس عن كبد السماء)) (ابن عاشور، 1984، صفحة 328/22). وقيل: يمنعهما من الزوال والذهاب والوقوع؛ لأن الإمساك هو المنع. والزوال هو((التنقلُ من مكانها، والسُقُوطُ من عُلُوِّهَا)) (الثعالبي، 1418هـ، صفحة 393/4).

فالزوال هنا يجمع بين السقوط والإنتقال، أي: إنّ الشيء تنحى وانحدر عن مكانه، وهذا يتناسب مع معنى الزوال كدلالة على الانحدار والنزول. وفي الآية أن تسقط السماوات والأرض عَنْ عُلُوِّهَا أو تنتقل أو تتوقف عن الدوران (ينظر: (أبو حيان الأندلسي، 1420 هـ – 2000 م، صفحة 39/9). وهذا دلالة على اختلال النظام الكوني.

و((أَنْ تَزُولا كراهة أن تزولا. أو يمنعهما من أن تزولا: لأن الإمساك منع إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً غير معاجل بالعقوبة، حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّا، لعظم كلمة الشرك كما قال تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ. وقرئ: ولو زالنا، وإن أمسكهما)) (الزمخشري، 1407 هـ – 1987 م، صفحة 617/3) وينظر: (البيضاوي، 1418 هـ، صفحة 261/4) (النسفي، 1419 هـ – 1998 م، صفحة 92/3) (الطيبي، 1434 هـ – 2013 م، صفحة 668/12). فإن الله يمنع السماوات والأرض من الزوال، وإن زالتا ما أمسكهما من أحد من بعده. وقد يكون زوالهما بسبب ((زلزلة أو خراب)) (البقاعي، (1389 – 1404 هـ) (1969 – 1984 م)، صفحة 71/16). فلا أحد غيره يقدر على إمساكهما

من الزوال. و(إن) للنفي وأكد النفي ب {من أحد}، واللام في ولئن موطئة للقسم، وأسند فعل زالتا إلى السماوات والأرض على تأويل السماوات بسماء واحدة، وذلك لعظمة التوحيد. وأسند الزوال إليهما للعلم بأن الله هو الذي يزيلهما. و(من بعده) أي: من بعد إزالته لهما، من ابتدائيّة، وبعد ظرف للزمان، و{ما أمسكهما من أحد من بعده} هو جواب القسم أي: لا يستطيع أحد كائنا من كان إمساكهما وإرجاعهما، فجميع من على الأرض مخلوقات ضعيفة تضطرب مع الأرض بزلزلتها، ويكون مصيره الزوال والتَحَوُّل ولو بعد مرور قرون طويلة (ينظر: (البقاعي، (1389 – 1404 هـ) (1969 – 1984 م)، صفحة 71/16) (ابن عاشور، 1984، الصفحات 327/22–328–329).

و(({حليماً} أي: ليس من شأنه المعاجلة بالعقوبة، و{غفوراً} أي محاء لذنوب من رجع إليه)) (البقاعي، (1389 – 1404 هـ) (1969 – 1984 م)، صفحة 72/16). أي: كانَ حَلِيماً بالناس ولا يعجل بالعقوبة رغم معاصي العباد وشركهم التي تستحق أن تزول السماوات والأرض بسببهما، فيمنعهما رحمة بعباده. وإن الله غفور لمن تاب عن كفره وذنبه ويرحمه؛ لأنه كثير المغفرة وإن إستحق العِقَابَ.

فإن (تزولا)، و(زالتا) في الآية ليست فقط التَحَوُّل والانتقال بل يشمل زوال نظام الكون واختلاله، والإمساك هو مقابل معنى الزوال أي: حفظ الوجود والمنع من الزوال، فمن الممكن أن تزول السماوات بسبب شرك الناس لكن الله يحفظها ويمنعها من الزوال لحلمه وغفرانه.

فالسياق القرآنيّ في هذه الآية يعكس تماماً المعنى المعجميّ للمادة حيث يدُلّ على الحركة والتغير، لكن بشكل دقيق وأعمق؛ لأن حركة أو زوال السماوات والأرض من موضعهما سيكون نهاية وجودهما بالكامل، أي: الهلاك والفناء الكامل، وليس مجرد تَحَوُّل أو انتقال من حالة إلى أخرى، فالسياق القرآنيّ أضفى على المعنى نوعاً من الشدة والتأكيد وذلك مناسب مع عظمة السماوات والأرض. وأيضاً عمق السياق القرآنيّ ذلك المعنى وأشار إلى الدمار الكامل والمحو التام الذي لا يبقى لها أثراً.

المبحث الرابع

دلالة/ التفريق والتمييز

كقوله تعالى: {فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ} (يونس 28)10

إن زيلنا في الآية يأتي بمعنى ((فَرَّقْنَا)) (الطبري، 1422 هـ – 2001 م، صفحة 171/12). أي: فرقنا بين المشركين والذي كانوا يعبدونه من دون الله، من قولهم: زلتُ الشيء عن الشيء إذا أَنْجَيْتُهُ، وَزَيَّلْنَا تفيد التكثير والمبالغة. وقريء فَزَايَلْنَا يقال: لا أزايل فلاناً: أي: لا أفارقه، والعرب تفعل ذلك يلحقون ألفاً مكان التضعيف (ينظر: (القيسي، 1429 هـ – 2008 م، صفحة 3258/5) (الواحدي أ.، 1430هـ، صفحة 181/11).

ففرق الله بين المشركين وشركائهم يوم القيامة وقطع الصلة وروابط المودة بينهم، وذلك بسبب عبادتهم الأوثان، ولما لم يجد المشركون العون من شركائهم قالوا لهم: كنا نعبدكم فانصرونا فرد الشركاء بل كنتم تعبدون أهواءكم ولم تكونوا تعبدوننا حقاً (ينظر: (البغوي، 1420هـ، صفحة 418/2) (الزمخشري، 1407 هـ – 1987 م، صفحة 343/2) (البقاعي، (1389 – 1404 هـ) (1969 – 1984 م)، صفحة 109/9) (القرطبي، 1384 هـ – 1964 م، صفحة 333/8). وسبب مجيء زيّلنا بلفظ الماضي؛ لأن الذي حَكَمَ اللَّه فيه صَارَ كَالْكَائِنِ الرَّاهِنِ.

قال الفخر الرازي: ((زَيَّلْنَا) فَرَّقْنَا وَمَيَّزْنَا. فَزَيَّلْنا لَيْسَ مِنْ أَزَلْتُ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ زِلْتُ إِذَا فَرَّقْتُ تَقُولُ الْعَرَبُ: زِلْتُ الضَّأْنَ مِنَ الْمَعْزِ فَلَمْ تَزِلْ أَيْ مَيَّزْتُهَا فَلَمْ تَتَمَيَّزْ)) (الرازي، 1420هـ، صفحة 244/17).

فيأتي (زيّلنا) بمعنى فرقنا، والتزيل مطاوع زيّل، يُقَالُ: زَيَّلْتُهُ فَتَزَيَّلَ، أَيْ: فَرَّقْتُهُ فَتَفَرَّقَ، وجاء تزيل بصيغة تفَعّل للمبالغة في التفريق وليس مطاوعاً للفعل فقط؛ لأن أفعال المطاوعة كثيرا ما تطلق لإرادة المبالغة لدلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى (ينظر: (القرطبي، 1384 هـ - 1964 م، صفحة 333/8) (ابن عاشور، 1984، صفحة 192/26).

وأيضاً قوله تعالى في سورة يونس تأتي بمعنى التمييز والتفريق: يقول سبحانه تعالى: سمحلَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا سجى (الفتح 25)، أي: ((لَوْ تفرقوا وتميز بعضهم من بعض، لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً بالقتل والسبي)) (البيضاوي، 1418 هـ، صفحة 131/5) (النسفي، 1419 هـ - 1998 م، صفحة 342/3).

مما سبق يتضح لنا أن الفعل (زيّلنا)، في سياق الآية يدُلّ على التمييز والتفريق التام بين المشركين وشركائهم يوم القيامة، إذ ينقطع كل ما كان بينهم من تواصل في الدنيا، وهذا ما يتوافق مع الأصل المعجميّ للمادة، إذ تدل على المفارقة والمباعدة. والتفرّق في سياق الآية ليس مجرد انفصال جسديّ أو تباعد مكانيّ، وإنما هو تفريق مصيريّ وانكشاف الحقيقة وزوال الروابط الدنيويّة التي كانت تجمعهم، ولا سيما تلك الروابط المبنيّة على عبادة الأوثان. (زيّلنا) أيضاً يفيد المبالغة في التفريق، وهو ما يتناسب مع اسلوب القرآن في تصوير مشاهد يوم القيامة حيث تنهار الروابط الدنيويّة.

المبحث الخامس

دلالة/ الحركة والاضطراب

قوله تعالى: {مَسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ} (البقرة 214)

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ} (الحج 1)

{هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا} (الأحزاب 11)

{إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا} (الزلزلة 1)

فالآيات تتناول مفهوم الزلزلة كرمز للاضطراب والتغيير المفاجئ الكبير، سواء في ابتلاء المؤمنين أو في سياق الساعة ويوم القيامة. والزلزلة تشير إلى اضطراب أو تغيرات كونيّة ضخمة أو هزات أرضيّة عظيمة.

الخاتمة:

1. إن الجذر (ز و ل) ومشتقاتِه يدلّ في الأصل على التنحّي، والذهاب، والتحوّل، والاضطراب.
2. ثمة اختلافٌ بين (زال وأزال)، فـ(زال) يدل على التغير التلقائي، بينما (أزال) يحتاج إلى فاعلٍ خارجيٍّ للتحوّل.
3. إن لفظة (الزلّة) في السياق القرآني غالباً تدل على الخطأ الناتج عن الغفلة، وهي تشمل معنى السقوط والانحراف عن الصراط المستقيم.
4. (الاستزلال) أشدّ دلالة من (الإزلال)؛ لأنه ينطوي طلباً وقصداً نحو إيقاع الخطأ بالغير، كما هو الحال في فعل الشيطان مع المؤمنين.
5. إنّ الفعل (تزيّل) في القرآن الكريم يعبّر عن التفريق والتمييز التام بين الأطراف، وله دلالة أخلاقية في قطع الروابط المزيّفة يوم القيامة.

6. (الزوال) لا يعني الانتقال المكانيَّ فقط، بل يشمل على زوال النعمة، الملك، الاستقرار أو الاستقامة، فهو مرتبط بحدوث تحوّلٍ وتغيُّرٍ جوهريّ في الحال.
7. فللسياق القرآني أثرٌ فعّال في تحديد نوع الزوال، هل الزوال شاملٌ أو جزئيٌّ، دائمٌ أو مؤقَّتٌ.
8. إنّ الدلالة القرآنيّةَ تحافظ على الأصل المعجمي مع إضافة أبعادٍ إعجازيّة وبلاغيّة على المادة، مما يعكس عمق البيان القرآني وشموليته.

المصادر والمراجع

1. أبو حفص عمر بن علي الديمشقي(ت بعد 880 ه) ابن عادل. (1419 ه –1998 م). *اللباب في علوم الكتاب* (الإصدار 1). (الشيخ أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، المترجمون) بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
2. إسماعيل أبو نصر بن حماد الفارابي (ت 393ه) الجوهري. (1407 ه – 1987 م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (الإصدار 1). (أحمد عبدالغفور عطار، المترجمون) بيروت: دار العلم للملايين.
3. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت 710 ه) النسفي. (1419 ه – 1998 م). *تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)* (الإصدار د.ط). (يوسف علي بديوي، المحرر) بيروت–لبنان: دار الكلم الطيب.
4. أبو الحسن علي بن أحمد بن علي النيسابوري، الشافعي (ت468ه) الواحدي. (1415 ه). *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (الإصدار 1). (صفوان عدنان داوودي، المحرر) دمشق، بيروت: دار القلم , الدار الشامية.
5. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري الشافعي (ت468ه) الواحدي. (1415ه – 1994م). *الوسيط في تفسير القرآن المجيد* (الإصدار 1). (عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د.أحمد محمد صيرة، و وآخرون، المحررون) بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
6. أبو الحسن علي بن محمد (ت468ه) الواحدي. (1430ه). *التفسير البسيط* (الإصدار 1). السعودية: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
7. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت450ه) الماوردي. (د.س). *تفسير الماوردي = النكت والعيون* (الإصدار د.ط). (ابن عبد المقصود عبد الرحيم، المحرر) بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية.
8. أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (700 – 774 ه) ابن كثير. (1420 ه – 1999 م). *تفسير القرآن العظيم* (الإصدار 2). (سامي بن محمد السلامة، المحرر) الرياض – السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.
9. أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى. (1420 ه – 1999 م). *تفسير الراغب الأصفهاني* (الإصدار 1). (د.محمد عبدالعزيز بسيوني، المحرر) جامعة طنطا–مصر: كلية الآداب.
10. أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار المروزي الشافعي (ت489ه) السمعاني. (1418ه– 1997م). *تفسير السمعاني* (الإصدار 1). (ياسر بن إبراهيم، و غنيم بن عباس بن غنيم، المحررون) الرياض – السعودية: دار الوطن.

11. أبو زيد عبد الرحمن ن محمد بن مخلوف(ت 875هـ) الثعالبي. (1418هـ). *الجواهر الحسان في تفسير القرآن* (الإصدار 1). (الشيخ محمد علي معوض ، و الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، المحررون) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

12. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (1384 هـ - 1964 م). *الجامع لأحكام القرآن* (الإصدار 1). (أحمد البردوني، و ابراهيم أطفيش، المحررون) القاهرة–مصر: دار الكتب المصرية.

13. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي(ت606هـ) الرازي. (1420هـ). *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير* (الإصدار 3). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

14. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت510هـ) البغوي. (1420هـ). *تفسير البغوي* (الإصدار 1). (عبدالرزاق المهدي، المحرر) بيروت–لبنان: دار إحياء التراث العربي.

15. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي(ت 749هـ) ابن أم قاسم. (1413 هـ - 1992 م). *الجنى الداني في حروف المعاني* (الإصدار 1). (د فخر الدين قباوة، و الأستاذ محمد نديم فاضل، المحررون) بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

16. أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القرطبي (ت437هـ) القيسي. (1429 هـ - 2008 م). *الهداية إلى بلوغ النهاية* (الإصدار 1). (أ.د.الشاهد البوشيخي، المحرر) الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة.

17. أحمد (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) رضا. (جـ 1 و 2/ 1377 هـ - 1958 م). *معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)* (الإصدار دط). بيروت: دار مكتبة الحياة.

18. أحمد أبو إسحاق بن محمد بن إبراهيم (ت 427هـ) الثعلبي. (1422، هـ - 2002 م). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن* (الإصدار 1). (أبو محمد بن عاشور، المحرر) بيروت–لبنان: دار إحياء التراث العربي.

19. أحمد أبو الحسين بن زكرياء القزويني الرازي(ت 395هـ) ابن فارس. (1406 هـ - 1986 م). *مجمل اللغة لابن فارس* (الإصدار 2). (زهير عبدالمحسن سلطان، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

20. أحمدأبو الحسن بن زكرياء القزويني الرازي(ت 395هـ) ابن فارس. (1399هـ - 1979م). *معجم مقاييس اللغة* (الإصدار دط). (عبدالسلام محمد هارون، المحرر) دار الفكر.

21. الجوهري, إ. ب (1974) .م .(*الصحاح في اللغة والعلوم* .(ed. 1)بيروت: دار الحضارة العربية.

22. الحسن ن عبد الله بن سهل بن مهران(ت نحو 395هـ) أبو هلال العسكري. (بلا تاريخ). *الفروق اللغوية* (الإصدار دط). (محمد ابراهيم سليم، المترجمون) القاهرة - مصر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

23. الخليل أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت 170هـ) الفراهيدي. (بلا تاريخ). *كتاب العين*. (د مهدي المخزومي، و د إبراهيم السامرائي، المحررون) دار ومكتبة الهلال.

24. الراغب, ا. ب1416) .هـ-1996م .(*مفردات ألفاظ القرآن*) .(ed. 1)ص. ع. داوودي (.Ed ,دمشق-بيروت: دار القلم-دار الشامية.

25. الصغاني , ا. ب .(n.d.) .*التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية*)دط) .(ed. ع. و .الطحاوي , (.Edالقاهرة_مصر: مطبعة دار الكتب.

26. الكرماني, أ. ب .(n.d.) .*لباب التفاسير*) .ن. ب. العمر & , وآخرون(.Eds ,

27. أيوب أبو البقاء الحنفي بن موسى الحسيني القريمي (ت 1094هـ) الكفوي. (1414 هـ - 1994 م). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية* (الإصدار 1). (محمد حسن آل ياسين، المحرر) بيروت: عالم الكتب.

28. برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر(ت 885 هـ - 1480 م) البقاعي. ((1389 - 1404 هـ) (1969 - 1984 م)). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور* (الإصدار 1). الهند: دائرة المعارف العثمانية.

29. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت 597هـ) الجوزي. (1422 هـ). *زاد المسير في علم التفسير* (الإصدار 1). (عبدالرزاق المهدي ، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

30. جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي (ت 909 هـ) ابن المبرد. (1411 هـ - 1991 م). *الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي* (الإصدار 1). (د رضوان مختار بن غربية، المحرر) جدة - السعودية: دار المجتمع للنشر والتوزيع،.

31. حسين أبو القاسم بن محمد (ت 502هـ) الراغب الأصفهاني. (1412 هـ). *المفردات في غريب القرآن* (الإصدار 1). (صفوان عدنان الداودي، المحرر) دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

32. د.أحمد عبدالحميد (ت 1424 هـ) أحمد مختار. (1429 هـ - 2008 م). *معجم اللغة العربية المعاصرة* (الإصدار 1). بيروت: عالم الكتب.

33. داود, د. م .(n.d.) .*معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم*)دط .(.ed القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

34. شرف الدين الحسين بن عبدالله(ت 743 هـ) الطيبي. (1434 هـ - 2013 م). *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب* (الإصدار 1). (نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم، المحرر) جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

35. عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك(ت 465هـ) القشيري. (بلا تاريخ). *لطائف الإشارات = تفسير القشيري* (الإصدار 3). (ابراهيم البسيوني، المحرر) مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

36. علي أبو حسن اسماعيل [ت: 458هـ] ابن سيده. (1421 هـ - 2000 م). *المحكم والمحيط الأعظم* (الإصدار 1). (عبدالحميد هنداوي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

37. علي بن جعفر بن علي السعدي ابن القَطَّاع. (1403هـ -1983م). *كتاب الأفعال* (الإصدار 1). بيروت-لبنان: عالم الكتب.

38. كافي الكفاة اسماعيل (326 - 385 هـ) الصاحب بن عباد. (1414 هـ - 1994 م). *المحيط في اللغة* (الإصدار 1). (محمد حسن آل ياسين، المحرر) بيروت: عالم الكتب.

39. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت 817هـ) الفيروزآباديّ. (1426 هـ - 2005 م). *القاموس المحيط* (الإصدار دط). (بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، المحرر) بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

40. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (1392 هـ = 1972 م). *المعجم الوسيط* (الإصدار 2). دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير.

41. محمد أبو الفضل ن مكرم بن على، أ جمال الدين الأفريقي(ت 711هـ) ابن منظور. (1414 هـ). *لسان العرب* (الإصدار ط3). بيروت: دار صادر.

42. محمد أبو جعفر بن جرير(224 - 310 هـ) الطبري. (1422 هـ - 2001 م). *تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (الإصدار 1). (عبدالله بن عبدالمحسن التركي، المترجمون) القاهرة، مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

43. محمد أبو منصور بن أحمد بن هروي(ت 370هـ) الأزهري. (2001م). *تهذيب اللغة* (الإصدار 1). (محمد عوض مرعب، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

44. محمد الطاهر ابن عاشور. (1984). *التحرير والتنوير* (الإصدار د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

45. محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي. (1420 هـ - 2000 م). *البحر المحيط (في التفسير)* (الإصدار د.ط). بيروت: دار الفكر.

46. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. (1997). *تاج العروس من جواهر القاموس*. (جماعة من المختصين، المحرر) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

47. محمود بن عمر بن أحمد[ت 538 هـ] الزمخشري. (1407 هـ - 1987 م). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (الإصدار 1). بالقاهرة-بيروت: دار الريان للتراث-دار الكتاب العربي.

48. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685هـ) البيضاوي. (1418 هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* (الإصدار 1). (محمد عبدالر حمن المرعشلي، المحرر) بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي.

49. نهلة عبدالله خلف الوائلي. (2023). الثابت والمتغير في دراسة اللهجات العربيّة. *مجلة واسط للعلوم الإنسانية، 19*، 17. doi:https://doi.org/10.31185/.Vol19.Iss54.372

50. يعيش بن علي ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء(ت643هـ) ابن يعيش . (1422 هـ - 2001م). *شرح المفصل للزمخشري* (الإصدار 1). بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

الدوريات

نهلة عبدالله خلف الوائلي. (2023). الثابت والمتغير في دراسة اللهجات العربيّة. *مجلة واسط للعلوم الإنسانيّة، 19*، 17. doi:https://doi.org/10.31185/.Vol19.Iss54.372